المحور الثالث : ممالك السودان الأوسط .

المحاضرة رقم 6 :

أولا : دولة الكانم – برنو .

1 – عصر سيادة الكانم .

المحاضرة رقم 7 :

2 – عصر سيادة البرنو .

المحاضرة رقم 8 :

ثانيا : ممالك الهوسا .

المحور الثالث : ممالك السودان الأوسط .

يمتد إقليم السودان الأوسط حول بحيرة التشاد ، و يصل في شرقه إلى حدود دارفور و في غربه إلى النيجر ، و يمتد جنوبا إلى مناطق من إفريقيا الوسطى و من نيجيريا[1] ، و قد قامت في هذا الإقليم العديد من الكيانات السياسية على غرار منطقة السودان الغربي و من أهمها دولة الكانم –برنو و ممالك الهوسا .

أولا : دولة الكانم– بُرنو (479–1262هـ/1086–1846م) .

قامت هذه الدولة في بلاد السودان الأوسط و كانت بحيرة التشاد هي مهدها ممّا جعلها مركزا هاما لإلتقاء طرق القوافل المارة إلى جميع أنحاء القارة ، و أدّى هذا الأمر إلى ازدهار تجارتها و إلى قيام دولة بها منذ القرن 4هـ/9م [2] ، و ينقسم تاريخ هذه الدولة إلى عصرين عصر سيادة الكانم ثمّ عصر سيادة برنو .

1 – عصر سيادة الكانم : تعتبر عناصر الكانمبو و هي خليط من القبائل الزنجية و البربرية أول من عمل على إنشاء دولة في إقليم كانم الذي يقع إلى الشرق و الشمال الشرقي من بحـــيرة التشاد[3] ، و قيل إنّ الفضل في تأسيس هذه الدولة يعود إلى الملوك الأوائل من الزغاوة التي يعتقد أنّها ترجع في أصولها الأولى إلى فريق من بربر المغرب و لاسيما الملك داجو (Dago) الذي أُرِّخ لحكمه بحدود سنة 183هـ/800م ، و كان يدّعي أنّه من نسل القائد العربي سيف بن ذي يزن ، و يسود الإعتقاد أنّ قبائل الزغاوة كانت تجول الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى قبل أن تهاجر في القرن الثاني الهجري إلى بحيرة التشاد و تستقر هناك[4].

و قد ضمت هذه الدولة عددا كبيرا من القبائل و العناصر ، فهناك قبائل الصوصو و قبائل الكانمبو المشار إليها آنفا ، و تضم أيضا قبائـــل الكانوري التي تتكون من خليط من العرب و البربر و الزنوج ، و هؤلاء الكانوري يُكوِّنون أغلب سكان هذه المملكة ، يضاف إلى دلك قبائل التُبو من البربر ، و كذلك بربر الطوارق و قبائل العرب الذين كانوا يعرفون باسم " الشوا " و الذين قدموا إلى

---

[1] د/جلال يحي، **تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999م، ص 40 .

[2] الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 191 .

[3] د/جلال يحي، مرجع سابق، ص 41 .

[4] د/بشار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 164 .

التشاد من وادي النيل و من شمال القارة الإفريقية عبر الصحراء ، و قد أدّى اختلاط هؤلاء العرب بالوطنيين إلى ظهور عناصر جديدة مثل التنجور و البولالا و السالمان و غيرهم[1].

قامت سلطة الكانم في القرن التاسع الميلادي على يد أسرة بربرية بيضاء هي الأسرة الماغومية السيفية التي ادّعت النسب العربي و قالت إنّها تنحدر من سيف بن ذي يزن ، و استطاعت هذه الأسرة السيطرة على حوض بحيرة التشاد و اتخذت مدينة جيمي عاصمة لها ، و بدأ الإسلام يطرق أبواب هذه المملكة منذ قيامها و خاصة من الشمال و الشرق على يد التجار و المهاجرين الذين توافدوا عليها في القرنين 9م و 10 م ، و تحكي المصادر عن قيام داعية إسلامي كبير يسمى الفقيه محمد بن ماني (القرن 11م) بنشر الإسلام في المنطقة ، و قد عاصر خمسة من ملوك الكانم الذين كانوا يعرفون باسم المايات (جمع ماي و معناه الملك) ، أولهم الماي بولو الذي كان يحكم حوالي 410هـ/1020م و آخـــرهـــم الماي أوم بن عبد الجليل (478-489هـ/1086-1097م) ، و هو الذي جعل الإسلام الدين الرسمي للدولة و عمل على نشره في بلاده ، ثمّ اتجه لأداء فريضة الحج ، و لكنّ المنية وافته أثناء عودته من مصر فدفن بها ، و منذ عهد هذا الحاكم لم يتولَّ حكم دولة الكانم أي ملك وثني[2].

و بلغت دولة الكانم درجة كبيرة من القوة و الإتساع في عهد الماي دونمة بن أوم (489-546هـ/1097-1151م) الذي خلف والده في الحكم ، و تابع خلفاؤه من بعده العمل على توسيع حدود هذه الدولة حتى صارت إمبراطورية كبيرة و خاصة في عهد الماي دونمة بن سالما بن بكر (618-657هـ/1221-1259م) و الذي يُعرف أيضا باسم دونمة دباليمي نسبة إلى والدته دابال ، و قد أخضع هذا الماي القبائل المتمردة مثل البولالا الذين كانوا يعيشون في حوض بحيرة فترى الصغيرة الواقعة شرق بحيرة التشاد ، و أقام علاقات مع الحفصيين في تونس ، و اتسعت الإمبراطورية في هذا العهد حتى وصلت شرقا إلى مشارف النيل و غربا إلى نهر النيجر و امتدت شمالا حتى وصلت قرب فزان الليبية[3].

و يعد الماي دونمة دباليمي واحدا من الحكام الذين قضوا على جذور الوثنية في المنطقة من خلال قيامه بتحطيم الموني المقدس الذي كان يقدّسه الناس قبل إسلامهم معتقدين أنّه لا يجوز فتحه أو تحطيمه لأنّه يجلب النصر و الحظ لحكام البلاد و رعيتهم ، و هذا التحطيم أثار غضب قبائل

---

[1] الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 191 .

[2] نفسه، ج2، ص 193 .

[3] نفسه، ج2، ص 194 .

البولالا لما يمثله الموني من قدسية لديهم ، و ظل الصراع قائما بين الطرفين و وصل مرحلة خطيرة خاصة في عهد زعيـــم تلك القبائل المدعو عبد الجليل سيوكوما (767-814هـ/1365-1411م) و الذي عاصر تسعة من سلاطين الكانم ، و الأمر الذي يميّز قبائل البولالا عن قبائل الصوصو هو أنّ البولالا قد دخلت في الإسلام و هي تقاتل القبائل الوثنية جنبا إل جنب مع بقية المسلمين ، إلا أنّ عـداءهم لدولـــة الكانم لم ينته و رغبتهـــم في السيطرة على طرق التجارة كان كبيرا[1] ، و قد تمكن عبد الجليل هذا من قتل أربع مايات بمساعدة القبائل العربية التي كانت تقيم في فترى و كانم و التي كان سلطان البولالا يمُتُّ إليها بصلة النسب و القربى[2].

و نتيجة الضغط المستمر من قبائل البولالا على دولة الكانم و رغبتهم في طرد الماغوميين من عاصمتهم جيمي فقد اجتمع السلطان الكانمي الماي عمر بن إدريس (788-794هـ/1386-1391م) بعلماء بلاده و المقربين منه و استشارهم في مسألة العاصمة و العبور نحو إقليم برنو فأشاروا عليه بذلك ليبدأ عهد مملكة برنو ، و قد تسرّب الضعف إلى مملكة الكـــانم نتيجة عوامل كثيرة ، منها الخلافات و الإنقسامات التي ظهرت بين أبناء الأسرة الحاكمة ، و منها ظهور خطر قبائل الصوصو التي كانت تقيم في إقليم برنو و قيامها بمهاجمة عاصمة الدولة ، و كذلك اشتداد خطر البولالا بعد أن تمكنوا من إقامة سلطنة صغيرة لهم في حوض بحيرة فترى[3].

[1] د/بشار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص ص 174-175 .

[2] الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 195 .

[3] نفسه، ج2، ص 194 .